وقفة: مع التوبة

نداءٌ من الله تعالى لعباده، يعلن فيه عن واسع رحمته بهم، وإشفاقه جلت قدرته عليهم وعلى حالهم، وينادیهم بما يضمهم إليه:{قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾} [الزمر: ٥٣].

تعالى جده، سبحانه كتب على نفسه الرحمة بعباده، وبين أنه يغفر الذنوب جميعًا، فلا يغفر الذنوب سواه، ولا يكفر الخطايا إلا هو جلت قدرته، قال تعالى:{وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ} [آل عمران: ١٣٥].

فيا إخوتاه، لا بد للإنسان في هذه الحياة الدنيا من الخطأ، فكثيرًا ما يضلُّ الطريق، وينحرف عن جادة الصواب، إما لجهلٍ وحماقة، أو استجابة لإغراء عابث، أو شهوة جامحة، فيهبط بسبب ذلك عن مستواه الإنساني، ويتخلف عن أداء رسالته الخيرة في هذه الحياة.

فلا يختلف عاقلان، على أن ارتكاب المعاصي والآثام، يحط من قيمة الإنسان، ويسقط من مكانته الدينية والاجتماعية، ويبتعد عن النهوض بتبعات الحق والخير.

فالعاقل يا أخي، والعاقل وحده، هو الذي يكبح جماح نفسه، ويخطمها بالحق، ويعمل على تصحيح أخطائه، ويعالج أمراضه، ويغسل نفسه مما يكون قد ران عليها، ويستأنف العمل في الحياة في ثوب نقي نظيف، ويسرع بالرجوع إلى الله تعالى، مستجيبًا لقول ربه: {وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١].

ويتذكر دائمًا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :♂**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**ـــ، رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم.

أيها الأحبة في الله، إن من يمعن النظر في كتاب الله تعالى، وفي

أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجد أن التوبة واجبة من جميع الذنوب والمعاصي، ما ظهر منها وما بطن، وليس المؤمن بمنأى عن قول ربه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ} [التحريم: ٨].

وحتى تكون التوبة نصوحًا، صادقة مع الله، وخالصة لوجهه الكريم، فلا بد أن تكون التوبة خالصة لله عز وجل، غير مريد بها شيئًا من الدنيا، ولا منزلة عند مخلوقٍ من الخلق أبدًا، وأن يقلع التائب عن المعصية إقلاعًا فوريًا، ويندم على فعلها واقترافها، مع ضرورة العزم ألا يعود إليها أبدًا، وأن يبرأ مما للخلق من حقوقٍ عنده، رزقني الله وإياك أخي توبة نصوحًا إنه خير مجُيب.

فيا باغي السعادة أقبل إلى توبة نصوح، فالتوبة النصوح طريق السعادة، وسبيل المسلم إلى الفلاح، والفوز في الدنيا والآخرة.

التوبة النصوح، طمأنينة للقلب، وانشراح للنفس، وهدوء للبال، وراحة للضمير، فالتائبون، أوسع الناس صدورًا، وأكثر الناس راحة، في وجوههم البِشْر، وفي قلوبهم اليقين، وعلى ألسنتهم الخير.

ولذا، كانت التوبة ديدن النبي صلى الله عليه وسلم ، كيف لا وهو القائل:♂**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**ـــ، وهو القائل أيضًا:♂**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة**ـــ، رواهما البخاري ومسلم.

فيا أحبتي، كيف لا نتوب إلى الله، وهو تعالى يفرح بتوبتنا؟ كيف لا نتقرب إلى الله؟ وكيف لا نقبل إليه منيبين مستغفرين تائبين؟

فالله أكبر، يغفر ذنوبنا، ويقبل توبتنا، بل ويفرح برجوعنا إليه، يقول رسول الهدى صلى الله عليه وسلم :♂**الله أفرح بتوبة عبده من**

أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاةـــ، رواه البخاري ومسلم.

فهيا هيا، ولنوقظ ضمائرنا، ولنشعر بالتقصير تجاه خالقنا، وتفريطنا في جنب الله ربنا، ولنلجأ إلى الله بندم يختلج في صدورنا، فإن ذلك باعثاً لنا على التوبة والرجوع إلى الحق، مع إيماننا الكامل، وقناعتنا الراسخة، بأن الرجوع إلى الحق فضيلة وفريضة.

والتفاتة كريمة إلى كتاب الله، تجعلنا ننظر إلى تلك النفس اللوامة التي سرعان ما تعود وترجع وتستغفر، قال تعالى:{لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢} [القيامة: ١، ٢].

فما أعظمها من نفس، وهي تعجل بالتوبة والإنابة والاستغفار، ولا تبقى مصرة على العصيان، فالندم، محطة من محطات التوبة، ويا لفرح التائبين.

بالتوبة أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، بالتوبة يصبح المؤمن أهلاً لعون الله، في الشدة والرخاء، في العسر وفي اليسر.

بالتوبة يرزقك الله صبرًا تقهر به عوامل الشر، وتستعين به على أداء فرائض الله، وصبرًا يعينك على تحمل أقدار الله، فتصبح أهلاً لعفوه جل وعلا، فيقبل عملك الصالح،{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧].

يا عبد الله:

قدم لنفسك توبة مرجوّة بادر بها ::: قبل الممات وحبس الألسن ذخر
غلق النفوس فإنها ::: وغنم للمنيب المحسن

فيا أخي، يا مسلم، هيا إلى التوبة النصوح، تب ولا تتردد، لا

تؤخر التوبة، ولا تؤجلها، ولا للتسويف، فها هي قوافل التائبين تغدو وتروح، فالبدار البدار إلى توبة نصوح، قبل أن تغرغر الروح، يقول الله تعالى:{ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ } [طه: ٨٢].

وكن من أولائك:{ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ } [الفرقان: ٧٠].

فاللهم إنا نسألك توبة تغفر بها ذنوبنا، وتعفو بها عنا، وتدخلنا بها جنتك، إنك أنت العفو الكريم.

* * *